

أضواء البيان

@ 330 @ ينزل نفسه منزلة الغالب ، القاهر ، وإن كان الأمر ليس كذلك ، لأن أصل العزة في لغة العرب الغلبة والقهر ، ومنه قوله تعالى : { وَلِلَّاهِ الْعِزَّةُ وَلِلرَّسُولِ } وَلِلْأُمَّةِ وَالْمُؤْمِنِينَ { ، والعرب يقولون : من عز بز ، يعنون من غلب استلب ، ومنه قول الخنساء : وَلِلَّاهِ الْعِزَّةُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْأُمَّةِ وَالْمُؤْمِنِينَ { ، والعرب يقولون : من عز بز ، يعنون من غلب استلب ، ومنه قول الخنساء : % (كأن لم يكونوا حمى يحتشى % إذ الناس إذ ذاك من عز برا) % .

وقوله تعالى عن الخصم الذين تسوروا على داود : وعزني في الخطاب أي غلبني ، وقهرني في الخصومة . .

والدليل من القرآن على أن العزة التي أثبتها الله للكفار في قوله : { بَلِّغِ الْوَحْيَ كَفَرُوا } فِي عِزَّةٍ { . وقوله : { أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ } ، ليست هي العزة التي يراد بها القهر والغلبة بالفعل ، أن الله خص بهذه العزة المؤمنين دون الكافرين والمنافقين ، وذلك في قوله تعالى : { يَقُولُونَ لَا تَنْزِلْ عَلَيْنَا مَدِينَةٌ لَّيْذُخِرَنَّ اللَّهُ عِزَّهُمْ مِنْهُمَا اللَّهُ ذَلَّ وَلِلَّاهِ الْعِزَّةُ وَلِلرَّسُولِ } . .

ولذلك فسرهما علماء التفسير ، بأنها هي الحمية والاستكبار ، عن قبول الحق . . والشقاق : هي المخالفة ، والمعاندة كما قال تعالى : { وَاسْأَلْهُمْ تَوَلَّوْا } فَإِنْ زَمَّ هُمْ فِي شِقَاقٍ { . قال بعض العلماء : وأصله من الشق الذي هو الجانب ، لأن المخالف المعاند ، يكون في الشق أي في الجانب الذي ليس فيه من هو مخالف له ومعاند . . وقال بعض أهل العلم : أصل الشقاق من المشقة لأن المخالف المعاند يجتهد في إيصال المشقة إلى من هو مخالف معاند . .

وقال بعضهم : أصل الشقاق من شق العصا وهو الخلاف والتفرق . قوله تعالى : { كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَبَلَاتَ حِينَ مَوْتِهِمْ } . كم هنا هي الخبرية ، ومعناها الإخبار عن عدد كثير ، وهي في محل نصب ، على أنها مفعول به لأهلكتنا وصيغة الجمع في أهلكتنا للتعظيم ، ومن في قوله : من قرن ، مميزة لكم ، والقرن يطلق على الأمة وعلى بعض من الزمن ، أشهر الأقوال فيه أنه مائة سنة ، والمعنى أهلكتنا كثيراً من الأمم السالفة من أجل الكفر ، وتكذيب الرسل